المحاضرة الأُولى

النهضة الأوروبية

لقد سمّى المؤرخون زمن هذا النهوض "عصر النهضة الأوروبية"، وقد اختلفوا في تاريخ النهضة، فمنهم من ذهب إلى أنَّ عصر النهضة ابتدأ في القرن الثالث عشر، وبعضهم رأى أنَّه ابتدأ في القرن الرابع عشر، غير أنَّ ما لا شكَّ فيه أنَّ النهضة تدرجت في سبيل التقدُّم في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وعاضت نامية فتيّة حتى أدركت القرن السادس عشر، وكان من نتائجها المهمة ثورة الإصلاح الديني المسيحي لتخليصه من البِدَع والخُرافات.

ونقصد بالنهضة الأوروبية، التغيُّرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية التي طرأت على أوروبا في أواخر العصور الوسطى.

أمّا حركة الانبعاث أو إحياء الحضارة الكلاسيكية اليونانية والرومانية القديمة، والتي تسمى (Renaissance)، فقد كانت نتاج لهذه التغيُّرات التي بدأت في إيطاليا، من خلال التأكيد على الأدب والفن، والنظر إلى الإنسان، والتغيُّرات التي حدثت في هذه المجالات في القرن الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر، وهذه القرون في الواقع هي عشر الانتقال من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، كما أشرنا في بداية كلامنا.

إيطاليا والنهضة الأوروبية

يؤكد معظم المؤرخون على أنَّ النهضة من المسلَّم بها عند الجميع، أنَّها في جانبها الثقافي والسياسي نسمة هبّت من شمال إيطاليا، فلو لم تبذر بذور المذهب الإنساني، والسلطان المطلق، وإقامة العلاقات على توازن القوى على صورة مصغّرة في شمال إيطاليا –مثلما تزرع الفسائل في مشتل محمي من تقلُّبات الجو طوال قرنين يقعان بين عامي 1275 و1475- لَمَا قُدّر لهذه النهضة أنْ ترى النور شمال جبال الألب ابتداءً من عام 1475م وما تلاه.

وهنا لا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّ النهضة الإيطالية التي ظهرت في الربع الأخير من القرن الرابع عشر، والتي كانت من أهم الأحداث التي شهدتها القارة الأوروبية في نهاية العصور الوسطى، كانت اتجاهاً جديداً في التفكير والنظرة إلى الأُمور يختلف كلياً عمّا كان يسود المجتمع من قيم الإقطاع والكنيسة المقيِّدة للفِكر، والمُعرقِلة للإبداع.

وكانت إيطاليا مهد النهضة، وذلك بفعل مجموعة من العوامل المتفاعلة مع بعضها، ومن الممكن القول أو طرح سؤالٍ بشكلٍ آخر:

**س/ لماذا ظهرت النهضة الأوروبية في إيطاليا قبل غيرها من مدن أوروبا؟**

**ج/ في الواقع يرجع ذلك إلى أسباب كثيرة، منها:**

1. الحضارة الرومانية التي كانت مركزها إيطاليا (روما)، ومعظم علماء الرومان كانوا قد عاشوا جزءاً كبيراً من حياتهم في إيطاليا، وانتقلت بعدها كتبهم إلى باقي أوروبا.

وقد برزت الحضارة الرومانية بشكلٍ كبير في العلوم السياسية، فقد كان لديها نظام سياسي منظم ومتطور، وكانت هناك لوائح قانونية تنظم الحياة الرومانية، وبما أنَّ إيطاليا هي وريثة حضارة روما، فكان من الطبيعي أنْ تكون رائدة لعصر النهضة.

1. أُولى العلاقات الرأسمالية ظهرت في إيطاليا، وبداية انحلال العلاقات الإقطاعية كانت في إيطاليا، كذلك كانت بداية تكوين الطبقة الوسطى (البرجوازية)، فبدأ الكثير من أصحاب الحِرَف يطورون حرفهم، وزيادة إنتاجهم بهدف التصدير، وكذلك ظهرت طبقة من التجار الذي سوّعوا في علاقاتهم التجارية مع بلادٍ بعيدة، وحاولوا إيجاد طرقٍ جديدةٍ إلى الشرق.
2. إنَّ جزءاً كبيراً من المفاهيم لعصر النهضة موجهة ضد الكنيسة ومفاهيمها، لأنَّها تُهيمن على الحياة الفكرية، ولمّا كانت إيطاليا هي مركز الكنيسة الكاثوليكية، كان من الطبيعي أنْ تحدث بوادر حركة النهضة في إيطاليا قبل غيرها.
3. اكتسبت إيطاليا أهمية كبرى بسبب مركزها الجغرافي، فهي تقع في وسط البحر المتوسط الذي قامت على ضفافه أقدم الحضارات وأعرقها، وكانت المدن الإيطالية هي حلقة الاتصال بين أوروبا وبين الحوض الشرقي للبحر المتوسط وبلاد الشرق.
4. بداية ازدياد دور النقد، إذ أصبح الناس في هذه الفترة لا يكتفون بسدِّ حاجاتهم فقط، وإنَّما تعدوا إلى تكوين رؤوس أموال بغية توظيفها في مشاريعٍ أُخرى، بالإضافة إلى تغطية العمليات التجارية التي حدثت بعد ذلك.

وبهذا احتاج ظهور النقد إلى ظهور مراكز لصرف هذا النقد، فظهرت أُولى المصارف والبنوك في إيطاليا، وكذلك ظهور عملة إيطالية جديدة هي (الفلورين) التي تضرب في منطقة (فلورنسا) في إيطاليا، وبهذا سبقت إيطاليا الآخرين في هذا المجال.

1. تأثُّر إيطاليا بالحضارة الإسلامية، وخاصة في بلاد الأندلس، بحيث أخذ الأوربيون يرسلون أبناءهم للدراسة في مدارس وجامعات البلاد الإسلامية بسبب تقدُّمها الحضاري.

هذا وغيرها من العوامل، ساعدت على ظهور النهضة في إيطاليا قبل غيرها.